

الحلقة الأربعون

سفر الجامعة

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. مازلنا ندرس سفر الجامعة لسليمان الحكيم، والذي يُعتبر من أسفار الحكمة. وقد عالج هذا السفر معضلة مشاعر الإحباط واليأس عند الإنسان، حيث أكد أن كل شيء بعيد عن الله هو باطل وقبض الريح.

تابع سليمان الحكيم في اللقاء الماضي الحديث عن قراراته العملية. فتحدّث عن أهمية الكلام، لأنه هو يكشف حقيقة نفوسنا، وعمّا إذا كنا نتكلم بحكمة أم عن جهل. ووصف كلام الجاهل بالحماقّة، وأنه يكثر من الكلام. وأن الجاهل وإن كد فهو يفشل في الوصول إلى مبتغاه.

مستمعي الكريم، من المعروف أن سليمان الحكيم تحدث عن كل شؤون المجتمع وطبقاته، وعن أنواع البشر. ولهذا كان لابد له أن يتكلم أيضاً عن الملوك والحكام وكل من يتولى منصب عام. وتحدث عن علاقتهم بالناس الآخرين. كتب سليمان الحكيم قائلاً: «ويل لك أيتها الأرض إذا كان ملكك ولداً ورؤساؤك يأكلون إلى الصباح» (الجامعة ١٠:١٦ تفسيرية). أراد الحكيم التنبيه إلى مخاطر أن يتولّى السلطة ولد أو شاب صغير غير مجرب في الحياة. لأن ذلك سيعرّض البلاد إلى مخاطر كثيرة.

إن إصدار القرارات أمر مهم، وإذا كان الملك أو الحاكم قليل الخبرة، فإن ذلك سيجعله يصدر قراراته عن سوء حكم وتقدير. وتابع الحكيم فتحدث عن الرؤساء الذين يأكلون إلى الصباح. أي يكونون حكاماً غير ناضجين، يهتمون بالبذخ والتتعم والمآدب الفاخرة، ولا يعيرون اهتماماً لحالة البلاد والشعب. إن هذه الأوصاف التي تكلم عنها الحكيم مازالت تصلح حتى في أيامنا هذه. فعندما يحكم البلاد ملوك أو حكام غير ناضجين، وعندما يتولى المناصب أناس همهم الوحيد مصالحهم الخاصة، فإن ذلك سيعرّض البلاد إلى مخاطر كثيرة، أهمها انتشار الفساد، وتعطّل المشاريع، وبالتالي توقف النمو.

لكن سليمان الحكيم عاد وامتدح الحكام الذين يكونون حكاماً صالحين، ويهتمون بمصالح الشعب، فكتب قائلاً: «طوبى لك أيتها الأرض إن كان ملكك ابن شرفاء، ورؤساؤك يأكلون في المواعيد المعيّنة، طلباً للقوة وليس سعياً وراء السكر» (الجامعة ١٠:١٧).

امتدح الحكيم الملك الذي يمتلك السجايا النبيلة، فهو يتمتع بصفات حسنة تؤهله لكي يحكم على شعبه، ويصدر القرارات الصائبة والمفيدة. كما امتدح الحكيم المسؤولين الذين ينظمون حياتهم، ويكونون دقيقين في أوقاتهم، حتى أنهم يأكلون دائماً في مواعيد معينة. وليس هذا فحسب، بل أنهم يعرفون مصدر القوة الحقيقية عن طريق السلوك الحسن، وليس بالسعي وراء الملذات والسكر التي تدمر المجتمعات وتفسدها. ولقد أكد التاريخ البشري هذه الحقائق الهامة. فعندما يفسد الحكام سرعان ما تنهار البلاد وحتى الامبراطوريات، وتصبح عرضة لمخاطر عديدة.

وتابع سليمان الحكيم فتكلم عن صفة سلبية أخرى، على الحاكم لابل على كل إنسان أن يتجنبها وهي صفة الكسل. فكتب قائلاً: « من جراء الكسل ينهار السقف، وبتراخي اليمين يسقط البيت » (الجامعة ١٨:١٠ تفسيرية). أجل إن للكسل نتائج الوخيمة على كل الأصعدة. فنتيجة للكسل ينهار السقف على أصحابه، وكذلك بتراخي اليمين يسقط البيت، لأن ليس هناك من يقوم ويرممه. إن كل شيء في الحياة بحاجة إلى اجتهاد ومتابعة وإصلاح مستمر. وكذلك البلاد بحاجة إلى ملك أو رئيس نشيط مجتهد، وإلا لتعطلت كل المرافق الحيوية.

وعلى الصعيد الشخصي والعائلي نحن دائماً بحاجة إلى الإجهاد، لكي ننجز ما نريد تحقيقه. وإذا تكاسلنا أو توقفنا عن العمل، فإن ذلك لن يوقف إنجازاتنا فحسب، بل سيجعلنا نعود القهقري إلى الوراء، ونفقد ما كنا قد حصلناه في الماضي. فاحذر مستمعي من الكسل.

وتحدث سليمان الحكيم عن أهمية المال في حياة الإنسان، فكتب قائلاً: « للضحك يعملون وليمة، والخمر تُفرح العيش، أما الفضة فتحصل الكل » (الجامعة ١٩:١٠). وصاغت ترجمة أخرى هذا العدد بما يلي: « تُقام المأدبة للتسلية، والخمرة تولد الفرح، أما المال فيسد جميع الحاجات » (تفسيرية). أراد الحكيم القول أنه كما أننا نقيم المآدب لكي نضحك ونتسلى، ونشرب الخمر لكي نُفرح نفوسنا ونبهجها، هكذا المال وُجد لكي يسد جميع احتياجاتنا المادية والزمنية. لكن علينا أن ننتبه لكي لا نقع في خطأ التفكير، بأن المال هو الحل لكل مشاكلنا.

وهذا الخطأ مع الأسف يقع فيه معظم الناس، سواء كانوا حكاماً أم أناساً عاديين. إن المال أمر خطير لأنه يخدعنا، فنظن أن الثروة هي أيسر طريق للحصول على كل ما نريد. صحيح أن المال هو ضروري لمعيشتنا، ولتأمين حاجتنا، لكن الكتاب المقدس في نفس الوقت، يُحذرننا من محبة المال.

كتب الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل قائلاً: « وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرة تُغرق الناس في العطب والهلاك. لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذي إذ ابتغاه قومٌ ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة» (١ تيموثاوس ٦: ٩ و١٠). تحدّث هنا الرسول بولس عن أولئك الذين يظنون أن المال هو الحل لكل مشاكلهم، فيسعون لكي يصبحوا أغنياء. لكنهم لا يعلمون أن هذا السعي سيوقعهم للسلوك في طرق ملتوية فاسدة. والسبب لأن محبة المال هي الأساس لكل الشرور، التي تبعد الناس عن جادة الإيمان، وتسبب لهم آلاماً كثيرة.

لهذا نصحنا الرسول بولس في نهاية حديثه لكي نهرب من محبة المال، ودعانا لكي نتبع البر والتقوى والإيمان والمحبة والصبر والوداعة. وهذه جميعها نستطيع الحصول عليها إذا آمنّا بالمخلص المسيح. فهل تراك مستمعي تثق بهذا المخلص الفريد، وهكذا تجنّب نفسك محبة المال المدمرة لحياتك؟